حركات الارض

من ابعد الاشيآء على الانسان ان يتصور الارض متحركةً لانهُ لا يشعر من نفسهِ بتلك الحركة ولا يرى مما حولهُ دليلاً عليها بل الدلائل كلها متضافرة في بادي الرأي على انها ثابتة لانهُ يرى كل ما يحيط بهِ منها قارًّا في مكانهِ او متحركاً حركةً مستقلّةً حتى ما يكتنفها من جوٍّ وسحاب وما يسبح في جوّها من طائر وما يطير فيهِ من منطاد لا يتغير عليهِ منظر شيء من ذلك . ومعلومٌ ان الحركة امرٌ نسبيٌّ لا يتحقق الا بمقابلة الجسم المتحرك بغيرهِ ولما كانت اجزآء الارض وما يتصل بها كل ذلك مشايعاً لها في حركتها لم يكن في الارض ما يصلح لهذه المقابلة وحينئذٍ فلم يبقَ ما يدلّنا عليها الا مقابلة الارض بما يحيط بها من الاجرام السماوية التي تجري هذه الحركة بينها الا أنّا لما كنا والارض كالشيء الواحد لم يكن في تلك المقابلة ما يتهيأ لنا بهِ الاستدلال المذكور بل أحرِ ان نتخذ منها دليلاً على العكس لانا لما كنا نرى الارض ثابتةً لزم بالضرورة ان ننسب تلك الحركة الى الاجرام المذكورة لا اليها فمثلنا في ذلك مثَل راكب القطار يرى الارض والابنية والاشجار تدبر من بين يديهِ الى خلفهِ فيتوهم نفسهُ واقفاً والارض منتقلة . على انهُ في هذه الحالة لا يتردد في فساد هذه الرؤية لما يعلمهُ بالبداهة من انهُ هو الذي ينتقل في الارض والارض ثابتةٌ حولهُ وبخلاف ذلك ما يتمثل لهُ من حركة الاجرام السماوية فان الحسّ هناك غير معارَض بشيء من احكام العقل اذ لم يسبق الى عهدهِ ان شيئاً من سطح الارض ينتقل عن مكانهِ

فلا يعرض لهُ ما يدعوهُ الى الريب في صحة ما يراهُ

وقد عبر الناس على مثل هذا الاعتقاد احقاباً متطاولة حتى الباحثون منهم والعلمآء ممن قضوا ايامهم بالرصد والحساب ووضعوا لهذا الفن قواعد وأقيسة ركبوا فيها متن هذا الوهم فجآءوا بكل عجيب واشهرهم بطلميوس صاحب المجسطي التي ما برحت اماماً لأهل هذا العلم يأتمون بها و يستضيئون بانوارها نحواً من اربعة عشر قرناً كانت منزلتها فيها منزلة كتاب اقليدس في الهندسة الى ان ظهر كوبرنيكس في القرن السادس عشر فجهر بنقض هذا المذهب واثبت ان الارض تدور على نفسها وأيد قولهُ بالبراهين والادلة المُلزِمة فتحوّل اهل هذا العلم الى رأيهِ ثم تظاهرت عليهِ البراهين من كل اوب حتى لم يبقَ اليوم من ينازع فيهِ من اهل العلم

على ان هذا الرأي لم يعدم اناساً من كبرآء العقول وارباب الرويّة الثاقبة تنبهوا لهُ من زمنٍ قديم وقالوا بما اثبتهُ كوبرنيكس واول من نُقل عنهُ القول بحركة الارض على محورها هو فيثاغورس من رجال القرن الخامس قبل الميلاد وتبعهُ في ذلك عدّةٌ كثيرة من تلامذتهِ وغيرهم من بعدهِ وصرّح بعضهم في ذلك بما لا يقبل الشبهة ولا التأويل . وقد نقل شيشرون عن نيكيتاس السرَقوسي احد خريجي فيثاغورس انهُ كان يذهب الى ان السمآء والشمس والقمر والنجوم وسائر الاجرام العُلوية ثابتة وان الارض هي التي تدور و بدورانها السريع على محورها يتمثل لنا نفس المنظر الذي نراهُ لو كانت هي ثابتة والسمآء تدور . وذكر كوبرنيكس نفسهُ من اصحاب هذا الرأي جماعةً ممن تقدّموهُ منهم نيكيتاس هذا وفيلولاوس وهيرقليد واكفنتُس ومرتيانس كابلاّ

واسطرخس وسلوقس البابلي وارخيتاس وغيرهم . ومع غلبة رأي بطلميوس مدة القرون الوسطى كلها واعتماد العلماء والمدرّسين عليهِ فان انصار هذا القول ما برحت تتواتر عصراً بعد عصر الى قرب زمن كوبرنيكس الا انهُ لم يشع شيوعهُ من بعدهِ ولم يوافق تسليماً من جمهور الفلاسفة والباحثين لقصور البراهين اذ ذاك عن اثباتهِ وان كان ثابتاً عند اصحابهِ بالوجدان . وآخر من كتب فيهِ قبل كوبرنيكس الكردينال نقولا الكوزي في موسوعات العلم واللاهوت سنة ١٤٤٤ ومن جملة ما قال فيها ما تعريبهُ « لا ريب عندنا ان الارض تدور وان كنا لا نشعر بهذه الدورة من طريق الحواس لان الجسم المتحرك انما يُعرَف بمقابلتهِ بالساكن كما ان راكب السفينة اذا جرت بهِ جرياً مسترسلاً لا يتنبّه لحركتها الا بما يرى من حركة الشاطئ وكذلك نحن فانّا بحركة الشمس والكواكب نعلم اننا نحن المتحركون » . اه

هذه الحركة الاولى من حركات الارض التي تنبه لها الناس من قبل ان يكون لهم عليها دليلٌ الا دليل العقل ولذلك كان اثباتها صعباً والتسليم بها متعذراً على اكثر الناس لمعارضة الحسّ لها كما قدّمناهُ . وانما الجأهم الى القول بها انهم وجدوا ان دوران الشمس والقمر والنجوم حول الارض في كل اربع وعشرين ساعة مما لا يجوز عند العقل وان شهد بهِ الحسّ اذ يستحيل من هذه الاجرام كلها مع تفاوت ابعادها واختلاف مواقعها طولاً وعرضاً ان تتواطأ باسرها على دورةٍ واحدة حول الارض تتمّها في هذه المدة فضلاً عما تقتضيهِ والحالة هذه من السرعة التي لا تُدرَك حتى تقطع مثل هذه الافلاك العظيمة في مثل هذا الزمن القصير . ولذلك اضطرَّ الاقدمون ان يقولوا بفلكٍ اعظم

سموهُ بفلك الافلاك زعموا انهُ كرةٌ واحدة مجسمة فيها نُقرٌ قد ارتكزت فيها الثوابت وهذه الكرة تدور على نفسها في كل اربع وعشرين ساعة من الشرق الى الغرب فتدور معها تلك الكواكب دورتها اليومية في وقتٍ واحد . ومع فرضهم للسيارات وفي جملتها الشمس افلاكاً خاصة تدور بها دورتها الذاتية من الغرب الى الشرق جعلوا هذه الافلاك متصلةً بالفلك الاعظم و بذلك تشايع سائر الكواكب في دورتها اليومية من الشرق الى الغرب الى ما ثَمَّ من غريب التفاصيل التي يطول ايرادها ولا فائدة من ذكرها

وزد على ما ذكر ما يعرض هناك من الاعتبارات المبنية على التحقيقات العلمية مما لم يصل المتقدمون الى معرفتهِ كقوانين الجاذبية بين الاجرام وكتحقيق ابعاد بعض النجوم التي اقربها منا وهو الاول من قنطورس يبعد عنا بمسافة عشرين الف الف الف ميل ولا يصل الينا الضوء منهُ الا بعد ثلاث سنين ونصف سنة فمن المحال ان تصل جاذبية الارض الى هذه النجوم حتى تقيّدها بالدوران حولها فضلاً عن عظم اجرامها بالقياس الى الارض بحيث ان اصغرها لا يكون جرم الارض في جرمهِ الا كذرةٍ من جبل بل اذا اضطُرَّ العقل ان يسلّم اما بدورة الارض على نفسها او بدورة هذه الكواكب حولها كان التسليم بدوران الارض اسهل بما لا يقاس

على ان دوران الارض حول محورها قد ثبت بالاختبار وأُيّد بشهادة الحس واشهر التجارب في ذلك ما اجراهُ فوكُلت العالم الفرنسوي سنة ١٨٥١ في المكان المعروف بالپنتيون في باريز فانهُ اخذ سلكاً من الفولاذ طولهُ ٦٨ متراً فثبّتهُ في سقف قبّة المكان وناط بطرفهِ الاسفل كرةً من نحاس

ثقلها ٣٠ كيلغراماً وجعل في اسفل الكرة نحو ابرة واقام تحت طرفهِ دكةً فرشها بالرمل الدقيق وسوّى سطحهُ بحيث تخطّ الابرة فيهِ اذا تحرّك السلك ثم ربط السلك بخيطٍ من القنّب وعند ما اراد الامتحان احرق الخيط بلهيب شمعة فاخذ السلك يخطر خطراناً بطيئاً من الشمال الى الجنوب بحيث كانت الخطرة تتم في نحو ٨ ثوانٍ وكانت الابرة تخطّ في الرمل الا انها لم ترسم خطين على سمتٍ واحد ولكن الخطوط كانت تتقاطع عند المركز بحيث ان كل خطٍّ كان ينحرف عن سمت سابقهِ وبعد مضي خمس دقائق كانت زاوية الانحراف في كلٍّ من الطرفين عدة سنتيمترات وبعد ساعةٍ كانت عدة درجات بحيث كان سطح الخطران ينحرف من جهة الشرق الى الغرب

واما الدورة السنوية وهي دورة الارض حول الشمس فلم يتنبه لها العلمآء الا بعد الدورة اليومية بزمن لانها اخفى من تلك وبها تنتقل الارض في فلكها حول الشمس من الغرب الى الشرق اي الى نفس جهة دورانها على محورها فتنتقل بذلك الابراج وسائر النجوم في الظاهر الى جهة الغرب . واول من قال بهذه الدورة فيما ذكرهُ بلوطرخس هو اسطرخس احد خريجي استراتون من رجال القرن الثالث قبل الميلاد. وتبعهُ في ذلك اصحاب القول بالدورة الاولى ودليلهم في هذه مثل دليلهم في تلك اي ما ذكر من انتقال الكواكب في الظاهر انتقالاً بطيئاً من الشرق الى الغرب حتى تعود في نهاية السنة الى مواقعها الاولى. وتوصل المتأخرون الى ادلةٍ اخرى منها انهم بمراقبة الثوابت وجدوا ان بعضها وهو الاقرب الينا يرسم على مدار السنة اهليلجياً صغيراً يُعلم بمقايسة موقع هذا النجم على نجم آخر ابعد منهُ وهذا الاهليلجي

هو ولا ريب صورة الاهاياجي الذي ترسمهُ الارض في دورانها حول الشمس ٠ ومنها ما يسمى بانحراف النور وهو انهُ بسبب سرعة الارض في مسيرها تصل الينا اشعة ضوء الكواكب منحرفة عن اتجاهها حتى يظهر لنا الكوكب في غير موضعهِ ويرسم على مدار السنة اهليلجياً مركزهُ موقع النجم الحقيقي وهذا الاهليلجي اكبر مما يقتضيهِ بُعد النجم على ما ذُكر في الدليل السابق ويتغير شكلهُ وقياسهُ تبعاً لموقع النجم من فلك الارض ٠ ومثَل ذلك مثل ما اذا كنا في قطار حديدي فسقط المطر والقطار جارٍ في سرعتهِ فان قطرات المطر ترسم على زجاج النوافذ خطوطاً منحرفة وان كان سقوطها في خطٍ عمودي وذلك لتركُّب حركة القطار الافقية مع حركة المطر العمودية فينشأ بينهما حركة مائلة

اما سبب دوران الارض حول الشمس فهو دوران الشمس على محورها حين كانت الارض جزءًا من محيطها فلما انفصلت منها لبثت دائرةً حولها في تفصيلٍ لا يسعنا بيانهُ في هذا الموضع ٠ واما دورانها على محورها فما خفي سببهُ في الارض وغيرها من السيّارة الدائرة كذلك وقال بعضهم ان لكلتا الدورتين سبباً واحداً وذلك انهُ فرض ان الارض انفصلت عن الشمس بقوةٍ قذفتها عن محيطها الى الفضاء وان تلك القوة وقعت على خطٍ حائد عن مركز الارض حسب انهُ يكون على بعد ٢٤ ميلاً عن مركزها من جانب الفضاء ٠ ولقد يُتوهم من هذا ان بين هاتين الدورتين نسبةً تربط احداهما بالاخرى بمعنى ان الدورة السنوية ناشئة عن الدورة اليومية كما يكون بين دوران العجلة مثلاً وانتقالها فانها بدورانها على محورها تقطع في كل

دورةٍ مسافةً بقدر قياس محيطها وهي الطريقة التي جرى عليها فرنل حين قاس الطريق بين باريز واميان على ما سبق لنا شرحهُ في البيان (ص٦١٦)٠ ولكن الذي يظهر عند التحقيق غير ذلك فانّا اذا قابلنا بين دورة الارض على محورها ودورتها حول الشمس نجد انها كلما دارت مرةً حول محورها تقطع من فلكها حول الشمس مسافةً تعدل ٦٤ مرةً من قياس محيطها ولو قطعت كل يوم من فلكها بقدر محيطها فقط لزم حتى تقطع فلكها كلهُ ان تدور نحواً من ٢٣,٠٠٠ دورة تتمها في نحو ٦٤ سنة من سنيها الحالية او ان يكون بعدها عن الشمس لا يزيد على الف الف و٤٥٠ الف ميل بحيث يكون فلكها كلهُ بمقدار عُشر المسافة التي بينها وبين الشمس حالاً

وهذا من الامور العجيبة في السيارة فانا اذا حسبنا دورة المريخ وجدنا هذا الفرق اعظم مما هو في الارض كثيراً فانهُ كلما دار حول مركزهِ مرةً يقطع من فلكهِ مسافةً تعدل ٩٦ مرّة من قياس محيطهِ. وبعكس ذلك المشتري فان دورانهُ في فلكهِ اشبه بدوران العَجلة على الارض فانهُ كلما دار على نفسهِ مرةً قطع من فلكهِ بقياس محيطهِ فقط حتى كانهُ كرةٌ تتدحرج وزُحل يقطع من فلكهِ في كل دورة اقل من مسافة محيطهِ اي على نسبة ٢٣ الى ٢٥ وهذا في منتهى الغرابة ٠ فاذا افضينا الى اورانس وجدنا على ما قدّروا من دورتهِ انهُ كلما دار على نفسهِ مرةً قطع من فلكهِ بمقدار محيطهِ مرةً ونصف مرة ونبتون يقطع مرةً وخمس مرة وهذا ما لم نجد من تعرض لذكرهِ ولعل كل ذلك من الاسرار التي يتعذر حلها

وهناك حركاتٌ اخر للارض كُشفت بادمان الرصد وطول المراقبة منها

جركة محورها وهو الخط المتوهَّم من احد قطبيها الى الآخر فانهُ غير ثابتٍ على اتجاهٍ واحد ولكنهُ يميل شيئاً فشيئاً فيدور كلٌّ من قطبي خط الاستوآء حول قطب دائرة البروج حتى يرسم في مدّة ٢٦ الف سنة دائرةً كاملة . والقطب الشمالي الآن على درجة ونصف من النجم المعروف بهِ وبعد مئة سنة يكون منهُ على نصف درجة فقط ثم يبتعد عنهُ سنةً فسنة وبعد اثني عشر الف سنة يمرّ بحيال النسر الواقع فيصير هو نجم القطب كما كان منذ اربعة عشر الف سنة . وهذه الحركة ناشئة عن جذب الشمس والقمر للقدر الرابي من الارض على جانبي خط الاستوآء فتبطئ بذلك حركتها السنوية وتقع نقطتا الاعتدال غربيَّ موقعهما السابق وهذا ما يعبَّر عنهُ بمبادرة الاعتدالين

ومنها حركةٌ تتصل بالحركة السابقة وهي الناشئة عن جذب القمر وحدهُ للاجزاء المذكورة من نواحي خط الاستوآء فيرسم قطب الارض دائرة متموجة تتم في ثماني عشرة سنة وثمانية اشهر وتسمى هذه الحركة بالكبو

ومنها حركة خامسة يتغير بها ميل محور الارض على سطح دائرة البروج بسبب جذب السيَّارة للارض الى محاذاة سطوح افلاكها وبذلك يتبدل ميل دائرة البروج بالضرورة فيزداد او ينقص حتى يبلغ التفاوت بين طرفي الزيادة والنقصان درجتين و ٤٢ دقيقة وتتم كل واحدةٍ من حركتيه ذهاباً اورجوعاً في نحو عشرين الف سنة . وقد كان هذا الميل منذ ثلاثة آلاف سنة ٢٣ درجة و ٥٤ دقيقة وهو اليوم ٢٣ درجة و ٢٧ دقيقة فيكون قد تراجع في في هذه المدة ٢٧ دقيقة وسيستمرّ كذلك حتى ينتهي بعد تسعة آلاف سنة الى ٢٢ درجة و ١٥ دقيقة وهي غاية ما ينتهي اليهِ ثم يعود فيزداد

ومنها حركةٌ سادسة بها يتبدل انحناء طريق الارض حول الشمس فتزداد اهليلجية فلكها او تنقص حتى يقرب من الدائرة ٠ ومبلغ تباينهِ اليوم ١٦٨ من عشرة آلاف وبعد اربعة وعشرين الف سنة يكون ٠٠٣٣، ثم يعود الى الزيادة حتى يبلغ ٧ من مئة وهما معظم ما ينتهي اليهِ ومدة هذه الحركة على ما قدرهُ لقرّياي اربعون الف سنة

ثم ان الخط الاهليجي الذي تجري فيهِ الارض وهو فلكها حول الشمس تسمى اقرب نُقَطهِ من الشمس نقطة الرأس وابعدها نقطة الذنب وهاتان النقطتان تتحركان تحركاً بطيئاً فتنتقلان من مكانهما سنةً بعد سنة بسبب جذب السيارات العليا ٠ والارض تمرّ في نقطة الرأس لهذا العهد في اول يناير وكانت قبل الميلاد باربعة آلاف سنة تمرّ من هناك في ٢١ ستمبر اي في أوان الاعتدال الخريفي وفي سنة ١٢٥٠ للميلاد في ٢١ دسمبر ٠ ثم انها في سنة ٦٥٩٠ ستمرّ في النقطة المذكورة في ٢١ مارس وفي سنة ١١٩٠٠ في ٢٢ يونيو وفي سنة ١٧٠٠٠ ترجع الى حيث كانت اولاً فتكون مدة هذه الحركة ٢١ الف سنة

وهناك ايضاً حركةٌ ثامنة مسببة عن جاذبية بعض السيارة تبعاً لمواقعها من الارض تؤثر اضطراباً في بعض ما ذكر من الحركات السابقة وهذه الحركة لا تنضبط لاختلاف سير هذه الاجرام وابعادها ولكن الفلكيين يحسبون تأثيرها سنةً فسنة لضبط اعمالهم

وحركةٌ تاسعة تنشأ عند اجتماع السيارة او معظمها في ناحية واحدة من الشمس فانها تنقل جاذبيتها بعض الشيء عن مركزها الهندسي فيضطرب

سير الارض بهذا السبب لانها تدور حول مركز الجاذبية من الشمس لا حول مركز شكلها

وحركةٌ عاشرة تنشأ عن حركة البحار ومجاري الانهار وسيحان الثلوج العظيمة التي تتراكم كل سنة في بعض نواحي الارض فيحدث عن ذلك كلهِ اختلافٌ في توازن اجزآء الارض يغير شيئاً من اتجاه محور دورانها بحيث وُجد بعد المراقبة الدقيقة في عدة مراصد ان قطب الارض يرسم شبه تداوير(١) متصلة يتألف من جملتها دائرةٌ تحيط بنقطة القطب الاصلية لا تتجاوز سعتها ٤٠ الى ٥٠ قدماً . وقد وجدوا ان هذه الحركة تتم في مدة عشرة اشهر

وبقيت حركةٌ هي اعظم هذه الحركات كلها وهي التي تنتقل بها الشمس في الفضآء وينتقل معها كل ما يتبعها من سيارات واقمار وغيرها الى جهة صورة الجاثي فلا تزال الارض في انتقال دائم بحيث انها منذ وجدت لم تعبر مرّتين في مكانٍ واحد

فتلك احدى عشرة حركةً للارض تضطرب بها ولا اضطراب جناح الطائر والانسان قارٌّ فوقها لا يشعر بشيء من تلك الحركات كلها واعجب ما فيها خفة هذا الجرم العظيم ومطاوعتهُ لاضعف عوامل الطبيعة حتى كانهُ نُفَّاخةٌ من الصابون يطيّرها الوليد في الهوآء . وفي كل ما ذكرناهُ كلامٌ طويل لا تسعهُ هذه العُجالة فاقتصرنا منهُ على هذا القدر حبَّ الاختصار

---

(١) جمع تدوير وهو عند قدمآء اهل الهيئة فلكٌ صغير يدور على محيط فلكٍ كبير فيرسم هناك دوائر متتابعة تشغل محيط الفلك الذي يدور فيه

الموادّ الآليّة والغير الآليّة

لحضرة الاديب امين افندي مرشاق

ما زال علم الكيميآء مقصوراً على الآرآء الواهنة والاعتقادات الخزعبلية وما زالت اكثر مكنوناته محجوبة عن مدارك اهل البحث حتى قام علمآء القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر وحللوا المركبات الى عناصرها الحقيقية وركبوا الموادّ من عناصرها الاصلية وتوسعوا في مباحثهم المبنية على اساس الحقيقة وتفننوا في اساليب التجارب الكيماوية فمزقوا غياهب الجهل عن محيّا العلم الصحيح وابرزوا الى عالم الوجود علماً شريفاً عميم المنافع يستفيد منهُ الصانع والزارع والطباخ وربة البيت كما يستفيد منهُ العالم والطبيب والتاجر وغيرهم ولا يزالون دائبين في سعيهم واجتهادهم يصلون آناء الليل باطراف النهار لاستخراج الحقائق العلمية وتعميم الفوائد بين جميع بني الانسان

وقد قسم علمآء الكيميآء جميع مركبات المادّة الى قسمين كليين سموا الواحد منهما الاجسام الآليّة او العضوية وهي ذوات الحياة والآخر الاجسام الغير الآليّة او الجمادية وهي ما لا قوّة حيوية فيها . وهذان القسمان تجمعهما جامعة مشابهة التركيب والتحليل وكون مركبات كلٍّ منهما تتألف من عناصر بسيطة وان لهما قواعد اساسية وسُنناً عامةً لا يخرجان عنها لكن يُفرَق احدهما عن الآخر بوجوهٍ هي التي نريد الكلام عليها في هذه المجالة فنقول

اول فرقٍ يخطر للذهن ويبدو للحسّ واعظم مميزٍ بين الموادّ الآلية وغيرها هو وجود الحياة في الاولى وعدمها في الثانية فيدخل في المواد الآلية جميع انواع النبات والحيوان على اختلاف اصنافها وطبقاتها واما المواد الغير

الآلية فتنحصر في عالم الجماد وهو يتناول المعادن والغازات . ولا يُفهم من هذا القول ان هذين العالمين مستقلاّن احدهما عن الآخر تمام الاستقلال فان العوامل الطبيعية قد تطرأ على بعض اجزاء العالم الواحد فتحيلهُ بفعلها الكيماوي الى العالم الآخر وحينئذٍ فالجزء الذي ينتقل عن حيزهِ يجري على قواعد الحيز الذي انتقل اليهِ

والفرق الثاني الذي يميز بين المواد الآلية وغير الآلية هو أن السطوح التي تحيط بالاولى لا تكون مستقيمة بل كروية وكذلك زواياها تكون الى الاستدارة بخلاف الموادّ الثانية فان سطوحها وهي في الحالة الطبيعية تكون مستوية وكل زاوية من زواياها تنتهي بنقطة . وقلنا في حالتها الطبيعية استثناءً لما غيرتهُ الصناعة فانهُ غير داخل في بحثنا

والفرق الثالث ان المواد الغير الآلية تكون اما كلها سائلةً كالماء والزئبق والهواء او كلها جامدة كالمعادن والصخور . ولا يخرج عن ذلك بعض الاجسام الجامدة التي تخالط اجزاءها الرطوبة كالملح وكبريتات النحاس وغيرهِ من الاملاح التي بعضها يمتص الماء عند التبلور و بعضها يميل بطبيعتهِ الى امتصاص الماء في اي حالةٍ كان فان النوع الاول من هذه الموادّ لا يمتص الماء الا في حال التبلور والثاني اذا جُعل في اوعيةٍ تمنع وصول الابخرة المائية اليهِ يبقى ابداً على جفافهِ وذلك فضلاً عن ان دخول الماء في كلٍ من القسمين لا يغير تركيبها الكيماوي الاصلي ولا يؤثر تأثيراً جوهرياً في فعلهما الكيماوي. اما الجسم الآليّ فليس كلهُ جامداً ولا كلهُ سائلاً ولكنهُ ابداً مختلطٌ من النوعين كما يُعلم ذلك باستقراء جميع الاجسام الآلية من حيوان ونبات

ثم انا اذا عمدنا الى مادةٍ من غير الآليات وجزأناها نجد ان لجميع اجزآئها شكلاً واحداً وهيئةً واحدة وان الاختلاف بينها في الحجم فقط وبخلافها الاجسام الآلية فانك تجدها مركبةً من اعضآء مختلفة اختلافاً واضحاً . فاذا اخذت قطعةً من الملح العادي مثلاً وكسّرتها الى اجزآئها التي تتألف منها وهي في الحال الطبيعية ثم بحثت في اجزآئها وجدتها مركبةً من بلوراتٍ ذات اشكالٍ قياسية ولها اضلاعٌ عددها متساوٍ في كل بلورةٍ كاملة واما اذا اخذت نوعاً من النبات مثلاً وقسّمتهُ الى اقسامهِ الطبيعية وجدتهُ مركباً من اعضآء مختلفة فترى كلاً من الجذر والساق والاغصان والاوراق والازهار والاثمار لهُ صفاتٌ خاصة يمتاز بها عن سائر اعضآء النبات . وفضلاً عن ذلك فانك تجد في اجزآئهِ واجزآء الحيوان اختلافاً في التركيب ايضاً فالعظام مثلاً لاتقتصر مباينتها للدم على الهيئة الخارجية والوظائف الخصوصية ولكنها تختلف عنهُ في تركيبها الكيماوي . وهذا لاتجدهُ في الموادّ الغير الآلية ولكن مهما جزأتها يبقى تركيب الجزء مطابقاً لتركيب الكل مهما كان الاول صغيراً والثاني كبيراً

وهناك فرقٌ آخر بين هاتين الطائفتين عظيم الاهمية وهو أن الاجسام الآلية تنمي وتزداد من نفسها فهي تمتصُّ من الارض الموادّ التي تحتاج اليها وتوزعها على الاوعية التي يتركب منها النبات او الحيوان كلٌّ بحسب ما يقتضي وعلى قدر ما يحتاج فتنمي هذه الاوعية ويزداد عددها ويكبر الجسم الذي يتركب منها . والموادّ الغير الآلية لاتنمي من نفسها وانما يزداد حجمها او ينقص بحسب العوامل الطبيعية التي تتصرف فيها وتفرّق اجزآءها فتحملها

من مكان الى آخر وبذلك تنقص في موضعٍ وتزداد في غيرهِ

ومن تلك الفروق ايضاً ان العناصر التي تتركب منها المواد الآلية باسرها تنحصر في اربعة عناصر رئيسة وهي الاكسيجين والهدروجين والنتروجين والكربون لجميع انواع النبات والحيوان وهي تبلغ ما ينيف على ٢٥٠,٠٠٠ نوع تتركب من هذه العناصر الاربعة على نِسبٍ مختلفة ولا عبرة لما يدخل احياناً في تركيب الآليَّات من العناصر الملوّنة او المقوّية كالحديد والكبريت والفسفور وغيرها لانها من العناصر الاضافية وهذه الانواع كلها يتميز بعضها عن بعض باشكالها الخارجية وصفاتها الظاهرة. واما المواد الغير الآلية فتتركب من جميع العناصر حتى من العناصر التي تتركب منها المواد الآلية وعددٌ كبيرٌ منها لا يتميز عن غيرهِ بالنظر اليهِ بل كثيراً ما يرى الانسان مادتين منها فيظنهما من اصلٍ واحدٍ ومن مادةٍ واحدة لتماثلهما في الشكل او اللون او الطعم فلا تُفرَق احداهما عن الاخرى الاّ بالتحليل الكيماوي

وقد ذكرنا ان المواد الآلية تتميز عن غير الآلية بالنماء الحيويّ ثم هي تتميز عنها بكيفية حدوث هذا النماء ايضاً وهو يتم بازدياد الاوعية التي يتألف منها الجسم الآليّ حجماً وعدداً واما كيفية هذا الازدياد وكيفية اغتذاء بعض الاوعية من بعض فمما تعذر عليهم حلهُ حلاً واضحاً فان المجهر وهو الآلة التي مكنت الانسان من اكتشاف الهوام في اصفى المياه واعذبها والتي ترينا اصداف وبقايا حيوانات في اثر الطباشير الذي يعلق منهُ على اليد لم يمكن ان يكتشف بهِ في جدران هذه الاوعية الصغيرة اثر ثقوب او شقوق تنتقل فيها التغذية من احد هذه الاوعية الى الآخر

هذه اهمّ الفروق التي وجدها علمآء الكيميآء بين المواد الآلية وغير الآلية وهم الآن يجتهدون في تمحيص هذه الفروق وحصرها في اقل ما يمكن زيادةً في تحقيق انواع تلك المواد ودفعاً للشبهات فيما تقاربت آفاقهُ منها والله الهادي

الصالحات الباقيات

خصّ الله كل أُمةٍ بافرادٍ منها فضَّلهم على سائرها وجمع فيهم من الهبات ما صرفهُ عن الجمّ الغفير من دهمآئها وما ذلك الا لحكمةٍ اراد بها عزّ وجل عموم المصلحة والقيام بما هو فوق عمل الواحد من الاستقلال بالامور العظيمة والاضطلاع بالمصالح العامّة حتى يكون الفرد قائداً للامة الى سبل الفلاح وممثلاً لها في مقام الفخر بل يكون هو الأُمّة بعينها مجتمعةً في واحدٍ منها تعمل بيدهِ وتسعى بقدمهِ ويستطيع بنفسهِ ما لا تستطيعهُ في جمهورها

أجل كذلك ميز الله بين خلقهِ فأفرد اناساً منهم بجلائل المِنَح وفواضل البركات ليجعلهم خزَنةً لهباتهِ يتناولونها باليمين ويبذلونها باليسار فيكونون واسطةً بينهُ وبين عبادهِ في انهآء نعمتهِ اليهم وتوفير مِنَّتهِ عليهم وما اقلّ من عرف قدر هذه الكرامة فقام بما لزمهُ من حقّ شكرها وصرف تلك الامانات الى ذويها بل رأينا اكثر الذين أُوتوها غامطاً لنعمة المولى مقصراً في حق العبد يظن انهُ انما ظفر بتلك الهبات لفضلٍ في نفسهِ استحقَّها بهِ وهو ابعد الناس عن الفضل واحقهم بالحرمان بل انما وُجد امثال اولئك ليُستدَلَّ بهم على فضل ذوي الفضل وبضدّها تتبين الاشيآء

ولقد وقفنا في هذه الايام على ما انطلقت لهُ الوجوه بِشراً وفاضت الافئدة شكراً وما لم نجد بدًّا من التنويه بهِ اظهاراً لما فيهِ من الفضل واستنطاقاً للالسنة بالثناء عليهِ وحثاً للمقتدرين على الاقتداء بهِ ألا وهو الوقف الذي سبَّلهُ حضرة صاحب السعادة السريّ الاريحيّ الماجد سليل بيت المكارم المتحلي بجميل المآثر وسنيّ المحامد حسين باشا واصف محافظ عموم القنال وحضرة حرمهِ المصون السيدة اسماء هانم كريمة المرحوم الطيب الذكر ابرهيم باشا حليم فانهما قد وقفا من املاكهما على مصلحة الوطنية وخدمة الانسانية ما تبلغ قيمتهُ نحواً من خمسة عشر الف جناي مصري خصصا بعضهُ ببعض وجوه الخير المألوفة وارصدا سائرهُ لتوسيع نطاق العلم وشدّ ازر ذويهِ . فقرَّرا اولاً انشاء دارٍ للعَجَزة من النساء الكفيفات والمصابات بأي عاهةٍ كانت من اللواتي لا معين لهنَّ وعيَّنا مبلغ نفقتها ٤٠٠ جناي كل سنة . وهذه الدار تسمى باسم السيدة اسماء هانم الواقفة المشار اليها

وثانياً انشاء مدرسةٍ صناعية باسم حضرة حسين باشا واصف تُعلَّم فيها الصنائع المختلفة التي تدعو اليها حاجة البلاد حالاً بعد حال وقرَّرا ان يُنفَق عليها كل سنةٍ ٦٠٠ جناي

وثالثاً إرصاد ٢٥ جناياً مصرياً في كل سنة تُعطى جوائز لخمسة من نابغي الطلبة في الازهر الشريف ممن يمتازون في العلوم الرياضية والهيئة والجغرافية والتاريخ والآداب الدينية . وهذه الجوائز توزَّع باسم ابرهيم باشا حليم والد الواقفة وحمي الواقف تخليداً لذكرهِ واستدراراً للرحمة عليهِ وقد سُلِّمت في اوائل هذه السنة الى حضرة شيخ الجامع ووُزِّعت على مستحقيها

ورابعاً ارصاد مبلغ ٢٠ جنايّا تُرفع كل سنة الى نظارة المعارف العمومية لتوزعها على خمسة من متقدمي الطلبة المصريين الذين ينالون شهادة البكلورية وهذه الجوائز توزع باسم حضرة حسين باشا واصف

وخامساً ارصاد ٢٥ جنايّا تسمى بالجائزة الحليمية تؤدَّى كل سنةٍ الى من يؤلف او يعرّب افضل كتاب يكون فيهِ فائدةٌ للدارسين والمستفيدين في نوعٍ من العلوم والآداب وقد نال هذه الجائزة في هذه السنة حضرة الفاضل الالمعيّ المشهور احمد زكي بك السكرتير الثاني لمجلس النظار على تعريبهِ لكتاب تاريخ المشرق الذي سبق لنا تقريظهُ في احد اجزاء هذه المجلة . وقد اتصلت بنا نسخة الكتاب الذي بعث بهِ سعادة حسين باشا واصف الى حضرة البك المشار اليهِ فاحببنا اثباتهُ في هذا الموضع . قال اعزهُ الله بعد الديباجة

« بكل ارتياحٍ اطلعت على كتاب تاريخ المشرق الذي عنيتم بنقلهِ الى العربية من تآليف العلاّمة مسبيرو مدير عموم الآثار المصرية وقد تصفحتهُ من اولهِ الى آخرهِ فرأيت ان نظارة المعارف العمومية قد احسنت كل الاحسان في اختيار الكتاب وفي اختيار المترجم فأهنئها على صنيعها واهنئكم على صنيعكم واسال الله ان يكثر من امثالكم ومن امثال آثاركم الادبية والعلمية . وقد اطلعت على الكتب التي ترجمت في العام الماضي الى لغتنا العربية فرأيت كتابكم المشار اليهِ جزيل الفائدة في تنوير بصائر الشبيبة المصرية واحياء تاريخ الامم الشرقية بعبارة جزلة قريبة من كافة الاذهان مع البلاغة في التعبير والبراعة في الاساليب بحيث تغني المطلع عليها عن الرجوع الى المطولات العديدة مع ما فيها من التحقيقات العلمية الكثيرة وضبط الاعلام

« وحيث ان كتابكم يستحق « الجائزة الحليمية » المقرَّرة في وقفيتنا فقد ارسلت لكم اليوم حوالةً على البنك المصري بمبلغ ٢٥٠٠ غرش هي قيمة الجائزة المذكورة واني اعتبر احرازكم لاول جائزة من هذا القبيل فألاً حسناً لترقية العلوم والآداب في هذه

الديار واسالكم المواظبة على هذه الخطة الشريفة المحمودة وابتهل اليهِ تعالى ان يكثر من امثالكم ليكون لأمتنا مقام شريف بين الامم الراقية في الحضارة المتمتعة بنعيم الحياة والله يحفظكم لاخيكم المخلص حسين واصف

محافظ عموم القنال »

فنحن نرفع خالص تهنئتنا الى حضرة صديقنا الفاضل بما احرزهُ من هذه الجائزة السنيَّة الشاهدة بغزارة فضلهِ والناطقة بشكرهِ على ما يبذلهُ من المثابرة في خدمة العلم واهلهِ جعل الله مساعيهُ قدوةً لذوي المعارف والآداب وزادنا من محاسن آثارهِ ما يزيدهُ رفعةً بين اولي الالباب ولا حرم الوطن العربيّ امثال سعادة الواقف ممن تسعد بهم الاوطان وترتقي بهم الامّة الى اعلى مراتب الشهرة وعزّة الشان

وهنا نستميح كبرآء الامة العربية واغنيآءها ان نوجه التفاتهم صوب هذه المأثرة الجليلة والمصلحة العمومية وما ينشأ عنها من الخير العظيم المتصل على تراخي الايام ولسنا نزيد العارفين منهم علماً ان امثال هذه الاوقاف هي التي رقيت بالعلم والصناعة في الديار الاوربية الى الحد الذي نراهُ اليوم ومهدت لاهلها سبل الاختراع والاكتشاف وحثّت هممهم على قطع هذا الشوط البعيد الذي تقدموا بهِ سائر الامم وسادوا اقطار الارض حتى اصبحوا ملوكها وامرآءها وجباة اموالها ومالكي افلاذها فضلاً عما ترتب على هذه المبرّات من مواساة البائس وتخفيف بلآء المريض والعاجز بما أُنشئ بها من ضروب المرافق المختلفة وبنآء المستشفيات والملاجئ وما أُرصِد منها لتعليم الاحداث وهداية الشُرَّد وتربية المهملين وسائر وجوه الخير والنفع مما خفف وطأة الشقآء وانار ليالي الجهل وكفى اهل الحرص مضض السؤال والبذل .. حتى اصبحت

هذه الاوقاف عامة في جميع الممالك الاوربية والاميركية لما آنسوا من فائدتها وتحققوا من عموم نفعها بحيث انهُ لا تكاد تمرُّ سنةٌ في مملكةٍ من تلك الممالك الا توقف فيها مبالغ طائلة يتجاوز بعضها عشرات الملايين من الفرنكات

ولقد طال ما نادت بذلك صحف الاخبار والعلم عندنا وجهرت بهِ الخطبآء في المحافل حثًّا لذوي اليسار على الاقتدآء باولئك الاقوام والسعي في اخراج الأُمّة من ظلمات الجهل واودية الشقآء وفي القطر مئاتٌ من ذوي الثروة الطائلة لا يعجزون عن القيام بمثل تلك الاعمال من فضل اموالهم ولكنا نأسف ان نرى غالب تلك الاموال في ايدي اناسٍ يبذرونها في الشهوات ويبذلونها ثمناً للمخازي والفضائح او ينفقونها على ما لا طائل تحتهُ طلباً للمباهاة بمفاخر صبيانية لا يقيم لها العاقل وزناً او اباطيل فارغة لا يتعدى فخرها ليلةً او اسبوعاً ويعرضون عما فوق ذلك من المآثر الجليلة والمفاخر الباقية التي تسمو اليها النفوس الفاضلة والهمم الراقية ويُبتغى فيها طيب الاحدوثة والاجر الجزيل

فالى هذا الهمام الفاضل نسوق طيّب الثنآء ونبشرهُ بذكرٍ لا يفنى ومجدٍ لا يبلى ونحث ارباب السعة والغنى على الاقتدآء بسنّتهِ والجري في سبيلهِ فان قيمة الانسان ما يحسنهُ لا ما يخزنهُ وان الله لا يضيع اجر من احسن عملاً والصالحات الباقيات خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ املاً

حكاية حال

قصيدةٌ عصرية لحضرة الكاتب الشاعر المجيد نقولا افندي الحدّاد

رأى بنتَ من يهوى وقد جدَّ وجدُهُ　　وقطَّع منهُ الصدُّ قلباً متيَّما
طوى ليلهُ لم يجتلي بدرَ وجهها　　فما كان ليلٌ منهُ ادجى واظلما
فلما رآها استوقفتهُ وقد بدت　　لاقنوم من يهوى مثالاً تقنَّما
رشاً بنت خمسٍ قد تبدَّت لطرفهِ　　تلاعبُ اتراباً لها تشبه الدُمى
فظلَّ لديها حائر اللبّ هائماً　　يطيل اليها نظرةً وتوسُّما
واذ همَّ بالتسآل عنها اجابهُ　　فؤادٌ لديها بات ولهان مغرما
أَلستَ ترى فيها ملامحَ غادةٍ　　غدوتَ بها من شدة الوجد مُسقَما
فذي العين تلك العين والثغر ثغرها　　وقد ضارعتها نظرةً وتبسما
وفي ناظرَيها الشعر واللحظ لفظهُ　　وقد كلَّم القلب الشجيَّ فكلَّما
وفي ثغرها بيت القصيد وبحرهُ　　عُذَيبٌ يعوم الدرُّ فيهِ منظَّما
فذي نسخةٌ من رسم تلك مصغَّراً　　وحسبك هذا الحسن أن تتوسما

***

ولما تلقّاها تجافت وأجفلت　　وما ادركت من وجدهِ ما تضرَّما
ولا علمت ما في حشاهُ من الجوى　　وأنَّى لها سرُّ الغرام لتعلما
فبشَّ اليها ثم اوما تحبُّباً　　ورحَّب اغراءً وحيَّا وسلَّما
ولكنها لم تحبهُ غير نظرةٍ　　تفهَّم فيها الف معنًى وترجما
وما هيَ تعني ما استفاد وانما　　توهَّم عيني غيرها فتفهَّما
وضاحكها فاستأنست بابتسامهِ　　ولاطفها كيلا تصدَّ وتحجما

ولاعبها مستصبياً متودّداً ومازحها حتى تميلَ وتبسما
ترامت عليهِ والتبذّلُ عندها عفافٌ فلا تدري التأويل منهما
فؤادٌ كذاك القلب لكن بلا هوًى فخلٌ لها دَلٌّ على تلك حرَّما
دلالٌ بلا تيهٍ رماها بحجرهِ فضمٌ ملاكاً طاهراً متجسّما
وعانقها مستنشقاً هُدبَ ثوبها ودغدغها حتى ملا ضحكُها الفما
فقبَّل كفيْها وقبّل خدَّها وقبّل عينيها وقبّل مبسما
وروّى لساناً للّمى كان ظامئاً وبرّد قلباً كان بالوجد مضرما

. . . .

رآنيَ يا أُمّي فتًى ما عرفتهُ ويا أُمّ ما احلى الفتى ما أرقّ ما
وقصّت عليها بنتها كلّ ما جرى حديث صغيرٍ يخبر الامر مثلما
فقالت ومعنى قولها في ابتسامها وقد عرفت ذاك المحبّ المتيما
يمثّل دوراً يبتغيهِ حقيقةً وهيهات ما يبغيهِ قد عزَّ مغنما

اسئلة واجوبتها

شفا عمرو - بينا كنت اطالع في الجزء الخامس من كتاب الف ليلة وليلة المطبوع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت عثرت على جملةٍ في خبر حيقار الفيلسوف وهي من الرسالة التي بعث بها فرعون ملك مصر الى سنحاريب يقول فيها « اني قد اشتهيت ان ابني لي مقصورةً بين السماء والارض واريد منك ان ترسل لي من عندك رجلاً حكيماً ... ويكونُ لك عندي كسيم اثور ونينوى ثلاث سنين » فما معنى لفظة كسيم هنا

ثم اني لدى مطالعتي كتاب مجمع البحرين تأليف المرحوم والدكم الشيخ ناصيف اليازجي وجدت في شرح المقامة الشامية قول بيهس الفزاري «لكنَّ بالاثلاث لحماً لا يظلَّل» فلم افهم المراد بالاثلاث وظاهر القرينة انهُ اسم الموضع الذي قُتل فيهِ اخوتهُ لكن قد صُرّح هناك ان اسم ذلك الموضع بلدح فارجو الافادة عن هذين السؤالين ولكم الفضل　　س * ح

الجواب — اما لفظة الكسيم فلا نعلم المراد بها ولم نرَها في شيء مما وقفنا عليهِ فلعلها اعجمية او محرَّفة . واما الاثلاث فصوابها الأَثلات بالتاء المثناة آخرها وكذلك وجدناها في نسختنا وهي جمع أَثلة واحدة الأَثل لصنفٍ من الطرفاء الظاهر ان اشلاء اخوتهِ طُرحت تحت اثلاتٍ كانت بذلك الموضع

آثار ادبيّة

انيس الجليس — قد دخلت هذه المجلة في سنتها الثالثة وهي مثابرة على ما عهد بها القرّاء من نشر رياط الآداب ومحاسن الانشاء والشعر مع الاجادة في اختيار المقالات العلمية والادبية خصوصاً ما يتعلق منها بالاحوال النسائية وما يتصل بها من المقالات الرائقة في التربية والتهذيب وسائر الاحوال البيتية والاجتماعية فنشكر همة حضرة منشئتها الفاضلة السيدة الكسندرا افيرينوه ونرجو لهذه المجلة الحسناء زيادة الانتشار

سبل الهدى — مجلة علمية ادبية تهذيبية لحضرة صاحبها الاديب احمد افندي سعيد وقد وردنا الجزء الاول منها فالفينا فيهِ عدة مقالات

مفيدة في الاغراض المشار اليها والمجلة المذكورة تصدر مرتين في الشهر في ست عشرة صفحة وقيمة اشتراكها خمسة عشر غرشاً في السنة فنرجو لهـا مزيد الرواج

المفتاح ـ مجلة علمية صحية تاريخية ادبية ينشئها حضرة الاديب توفيق افندي عزّوز وهي تصدر مرةً في الشهر في ٣٢ صفحة مذيلةً برواية ادبية من تعريب المشار اليهِ وقد وقفنا على الجزء الاول منها فوجدناهُ مشتملاً على عدة مقالات مفيدة في اغراضٍ مختلفة في العلم والادب فنثني على حضرة منشئها الاديب ونحث القرآء على مطالعتهـا وقيمة اشتراكها اربعون غرشاً مصرياً في السنة

كتاب تنوير الاذهان بمعرفة مبادئ تقويم البلدان ـ أُهديت لنا نسخةٌ من الجزء الاول من هذا الكتاب تأليف حضرة الاديب رشدي افندي كمال من متوظفي ديوان السكة الحديدية بمصر وهو يشتمل على مقرَّر السنة الاولى من الدروس الجغرافية لتلامذة المدارس الاميرية وقد تصفحناهُ فوجدناهُ كثير الفائدة حسن الترتيب فنحث الدارسين على اقتنآئهِ ونثني على مؤلفهِ ثنآءً جزيلاً

تنبيه * ضاق هذا الجزء عن استيفآء ما وعدنا بهِ من مرويّات الاب شيخو وسنعود اليها في الجزء الآتي ان شآء الله



ترجمة المرحوم عبد الله المرّاش

هو الطيّب الذكر عبد الله بن فتح الله المرّاش وشقيق المرحوم فرنسيس المرّاش الشاعر الكاتب المشهور من أُسرةٍ عريقة في الفضل والوجاهة معروفة بالعلم والادب وُلد في حلب في ١٤ مايو سنة ١٨٣٩ ونشأ بها وتأدّب على والدهِ وغيرهِ فتلقى في حداثتهِ مبادئ علوم العربية والخط والحساب ثم دخل في اعمال التجارة فتخرّج في ابوابها وفنونها ولما بدت نجابتهُ فيها انتدبهُ جماعةٌ من جلّة تجار حلب لعقد شركة تجارية ينشئ لها محلاً في منشستر من بلاد الانكليز فسافر اليها سنة ١٨٦١ ولبث بها الى سنة ١٨٦٩ واشتهر بما كان عليهِ من الامانة والدراية فكان لهُ مقامٌ محمود بين معامليهِ من ارباب

التجارة واحرز منها ثروةً صالحة . وفي تلك السنة تمّ فتح خليج السويس فاستشفّ من ورآء هذا الفتح انهُ سيكون ضربةً قاضية على تجارة حلب لانهُ قدَّر ان البضائع التي كانت تُرسَل اليها فتحملها القوافل برًّا الى نواحي العراق وبلاد العجم لا بدّ ان تُرسَل بعد ذلك بحراً عن طريق السويس ثم البصرة ولهذا السبب واسبابٍ اخرى نوى العدول عن التجارة بتةً وشرع في حلّ الشركة وتصفية اعمالها . وبعد ان وضعت الحرب اوزارها بين الفرنسيس والالمان سنة ١٨٧٠ انتقل الى باريز فأقام بها الى سنة ١٨٧٩ ثم عاد الى منشستر لبعض الشؤون فلبث بها الى سنة ١٨٨٢ وبعد ذلك فارقها فاتى مرسيليا والقى بها عصاهُ ولم يزل مقيماً بها الى ان توفاهُ الله اليهِ في اواسط الشهر الغابر من هذه السنة على ما تقدم لنا ذكرهُ في الجزء الماضي

هذا مجمل ما يُذكر من تاريخ هذا الرجل وما تقلب فيهِ من اطوار الحياة وقد عبرت ايامهُ كلها على السكينة والدعة لانهُ كان قليل المزاحمة والتطالّ الى بعيد الشؤون والتفاني في معالجة الحظوظ وابتغآء الشهرة والمقامات العلية بالاكثار من الجلبة والحراك على انهُ كان على حظٍّ من الدنيا بلغ بهِ مبلغ الرضى وهو الغنى كلهُ فلم يكن بعد ذلك يحرص على حشد الدينار ولا يعاني الكسب ولكنهُ انصرف الى المطالعة والتوسع في العلم وهو ما لم ينقطع عنهُ قطّ مع اشتغالهِ بالتجارة ايضاً فانهُ كان كثير الاختلاف الى مكاتب لندرا وباريز يتصفح ما فيها من الاسفار قديمها وحديثها ولا سيما الخطّية منها فادرك حظًّا وافراً من لغة العرب وتواريخهم وآدابهم وانتسخ منها عدة كتب عزيزة نذكر منها كتاب يتيمة الدهر للثعالبي وهو مصنَّفٌ ضخمٌ يكون نحواً

من الف وخمس مئة صفحة كبيرة انتسخهُ من مكتبة باريز ثم عارضهُ بنسخة لندرا واشار الى مواضع الفرق بين النسختين ونبه على ما وجدهُ مبايناً للصحة من غلط النساخ مما استدركهُ بنفسهِ وبعد ذلك عارضهُ بالنسخة المطبوعة في دمشق بعثنا اليهِ بها من القاهرة وبعد ان جمع بينها وبين نسختهِ ردّ الينا نسختنا وقد تتبعها صفحةً صفحةً وسطراً سطراً وعلّق على هوامشها كل ما وجدهُ من الفروق والزيادات وغيرها فكانت كل واحدةٍ من هاتين النسختين اصحّ نُسَخ هذا الكتاب . ولكن........

وهناك كتبٌ ورسائل اخر كلها من غُرَر آثار الاقدمين ونوادر تآليفهم انتسخها بخطهِ مع العناية والتدقيق في مقابلتها وتصحيحها وكان مليح الخطّ نقيّ الرقعة كثير التأنق كاكثر خطّاطي حلب وكان يكتب اولاً بقلم من القصب الهندي وهو شديد الصلابة لا يكاد يتشعث ولا يتغير ثم صار يكتب باقلام الحديد ولذلك ترى خطهُ من اول الكتاب الى آخرهِ واحداً

وكان رحمهُ الله من اكابر اهل الانشآء حسن الترسل سهل العبارة واضح الاسلوب بصيراً باختيار الالفاظ والتراكيب حسن النقد حريصاً على البلاغة ووضوح المعاني آخذاً بالنصيب الاوفر من قوالب فصحآء العرب والفاظ الخاصةّ من اهل الادب . وكان مع ذلك متقناً للغة الانكليزية والفرنسوية والطليانية يكتب فيهنّ جميعاً وكان لهُ باعٌ طويل في التاريخ والفلسفة وعلم الاخلاق والاديان والشرائع المختلفة مشاركاً في كثيرٍ من علوم المعاصرين كالطبيعيات والهيئة وسائر الفنون الرياضية وكان بصيراً بالسياسة مطلعاً على اسرارها ودقائقها ولهُ في كل ذلك مقالاتٌ ورسائل شتى منها ما هو باقٍ

بخطهِ ومنها ما نُشر في بعض الجرائد العربية في لندرا و باريز وجرائد ومجلات القطر المصري واشهر ما طُبع لهُ منها مقالة التربية التي نشرناها تباعاً في مجلة البيان وهي قريبة العهد من القرآء فلا حاجة الى الاطناب في وصفها . واما النظم فانهُ مع تضلعهِ من فنون البلاغة وكثرة ما كان يحفظ من اشعار العرب والمولدين ومع اشتهار بيتهم بالشعر كان قليل الرغبة فيهِ والمعاناة لهُ ولا سيما مع ما بلغ اليهِ الشعر في هذا العصر من الانحطاط والتفاهة ومع قلة المميزين بين جيدهِ ورديئهِ

واما صفاتهُ الشخصية فقد كان ربعة القوام معتدل الجسم ابيض اللون طلق المحيا فصيح اللسان مهذب المنطق واسع الرواية لطيف المحاضرة وقد أُتيح لنا لقآؤهُ عند مرورنا في مرسيليا في اواخر سنة ١٨٩٥ وهو في نحو السابعة والخمسين من عمرهِ وقد عممهُ الشيب وانضجتهُ السنّ والتجربة فالفينا فيهِ رجلاً جليل القدر كامل الصفات قد جمع بين رزانة الانكليز ورقة الفرنسيس واريحية العرب . وكان على اعظم جانب من الزهد وخفض الجناح بعيداً عن الزهو والخُيلآء منزهاً عن الدعوى والكبر حتى انهُ مع سعة فضلهِ ورسوخ قدمهِ في العلم والانشآء واجماع المطالعين على استحسان كلامهِ كان يتفادى من ذكر اسمهِ في اكثر ما كتبهُ وما طُبع لهُ ويشترط ذلك على من يروم نشر شيءٍ من آثارهِ وهذا ولا جرم من عنوان تمام فضلهِ وتناهيهِ في الكمالات الانسانية لانهُ لم يكن يتوخى فيما يكتبهُ الا نشر فائدة او تقرير حقيقة دون ابتغآء الشهرة والتهالك على طلب الاطرآء . وعندنا من آثار قلمهِ رسالتان احداهما جمع فيها فوائد متفرقة في علم الهيئة وتخطيط

الارض والثانية عرّب فيها خواطر الدوك دلارُشفوكو[1] في الاخلاق والآداب وكان قد بعث الينا بهذه الرسالة من مرسيليا بتاريخ ٤ آب (اوغسطس) سنة ١٨٩٠ يستطلع رأينا فيها ومعها كتابٌ يقول في جملتهِ ما نصهُ

« كنت في اثناآء اقامتي بباريز قد عرّبت كتاباً للدوك دلارُشفوكو دعاهُ بالحكم والخواطر السانحة وهذا المصنّف من رجال القرن السابع عشر جمع بين السيف والقلم وكان من اهل الحظوة المقرّبين الى الملك ومن عظمآء اهل البلاط فكان في اثناآء مخالطتهِ الجند ومعاشرتهِ اهل البطانة يرى في اخلاقهم وعاداتهم من الريآء والفساد ما ينكرهُ وتسنح لهُ في ذلك خواطر ومعانٍ شتى فيعبّر عنها باسلوبٍ بديع ويقيدها في دفترهِ على ما تعنّ لهُ من غير تبويب ولا ربطٍ بينها ولم يزل على ذلك حتى بلغت هذه الفقَر الى خمسمائة واربع ثم نشر هذا الدفتر فأُعجب بهِ الناس حتى عدُّوهُ في جملة كتب الادب التي يُقتدَى باساليبها ويُتخرَّج عليها في فن البلاغة وكان اشدّ ما اعجبهم من خواطرهِ تعريفهُ الريآء بانهُ استكانة الرذيلة للفضيلة او اقرار الطالح بفضل الصالح. ثم نُقِل هذا الكتاب الى سائر لغات الافرنج على ما فيهِ من خواطر لم يبقَ لها في عصرنا هذا ما يسوّغها

« وقد عنّ لي اليوم ان ارسل اليكم بانموذج من هذا التعريب فان وجدتموهُ من سقط المتاع وغالب ظني انهُ كذلك نبذتموهُ ظهريًّا وان وجدتموهُ خليقاً بان يطّلع عليهِ الناس فلا تضنّوا عليَّ بما يجرّئني على نشرهِ .. وفي عزمي ايضاً ان الحق بهِ ما عرّبتهُ ترسلاً من منظومةٍ في النصائح لاحد

---

(١) Duc de Larochefoucauld

الافرنج المتقدمين وهاكم انموذجاً منها

« ليس ما نشاهدهُ من الانسان هو الانسان بل هو السجن الذي سُجن فيهِ والقبر الذي واراهُ والفراش الواهن الذي هوَّم عليه

« ولا الانسان ما تراهُ من هذا الجسد الفاني وان راعك منهُ حسن الاعضآء وجمال الجثمان بل هو اجمل من هذا كلهِ ولذا ادَّخرهُ الله لحضرتهِ

« وفي الجملة فما يُدعى بالانسان انما هو شعاع الالوهية ذَرَّةٌ من الوحدة الربانية قطرةٌ من فيض العين الازلية

« فاعترف ايها الانسان بأصلك ولا تزدهينَّك الدنيا بل احتقرها فانك نباتٌ سماويٌّ وحقك ان تزهر في العلَى

. . .

« اذا نظرتَ الى المنافق وهو بوجههِ المستعار آليتَ انهُ اشدُّ الناس تورُّعاً وهو يتسلل مع ذلك في الحنادس طالباً جارتهُ ليغويها

« اخجل من الناس وكن من نفسك أخجل لان عار زلاَّتك لاصقٌ بك وانت بوصمتهِ أولى واللبيب من كان عليهِ من نفسهِ رقيب

« خذ بيد المسكين وأحسن اليهِ فان الله يبارك في مال المترآئف على المساكين وينميهِ

« ليت شعري ماذا تنفعك القناطير المقنطرة من الذهب والفضة في خزائنك وتعدُّد الملابس الفاخرة في أصونتك ووجود الحنطة والشعير طيساً في اهرآئك ووفرة دنان الخمر المعتَّقة في مخازنك

« والمسكين الواقف على عتبة بابك عرياناً خرصاً خائر القوى من

الجوع لم يفز منك بكِسرةٍ لسدّ رمقهِ فرجع خائباً من جدواك منكسر القلب كاسف البال

...

« من توهَّم بمجرَّد زعمهِ انهُ حكيم فعُدَّهُ من جملة الحمقى ومن ادَّعى العلم فاختبرهُ وامتحنهُ فلن تجد عندهُ الا الكلام الفارغ

« اذ كلما ازداد المرء علماً ازداد لنفسهِ اتّهاماً واخو الفضل لا يفتخر »

انتهى نصّ كتابهِ رحمهُ الله مع اسقاط اشيآء منهُ دلّت على تناهيهِ في التواضع والرقة وكان يودّ ان نتولى لهُ طبع الرسالة المذكورة في احدى مطابع بيروت لعدم وجود مطبعة عربية في مرسيليا ولكن عرض اذ ذاك ما حال دون انفاذ رغبتهِ من حدوث المراقبة على المطبوعات في الديار الشامية واحالة الاذن فيها على مجلس المعارف بالعاصمة ثم عرض لنا بعد مصيرنا الى هذه الديار من العُقَل التي اكثرها معلومٌ عند القرآء ما شغل الذرع عن التفرُّغ لغيرهِ وبقي الجزء الذي بعث بهِ الينا منها الى هذه الايام ونحن مثبتون في هذا الموضع اشيآء منهُ ايذاناً بفضلهِ وان قُدّر لنا الظفر بتتمة الرسالة طبعناها برمتها وجعلناها جائزة السنة الثانية للضيآء وهذا نصّ بعض ما جآء فيها

« ليس احتقار الفلاسفة للمال سوى رغبةٍ مستترة في الانتقام لفضلهم من ظلم الدهر فهم انما يزدرون بالخيرات التي حُرموها تذرعاً بذلك الى اتقآء ذل الفقر وتوصلاً الى الفوز بالتبجيل الذي لم يقدروا على تحصيلهِ بالمال

« تدخل الرذائل في تركيب الفضائل كما تدخل السموم في تركيب الادوية الا ان الحزم الذي هو صيدليُّها يعدّل مقاديرها حتى يجعل منها دوآء

ناجعاً في دفع اسوآء الحياة

« كثيراً ما كنا نخجل من احمد افعالنا لو اطّلع الناس على الاسباب التي ساقتنا اليها

« رأيُ اعدآئنا فينا اقرب الى الحقيقة من رأينا في انفسنا

« مهما كان الانسان ميالاً الى اهتضام جانب اقرانهِ فهو الى عدم التغاضي عن كاذب فضائلهم اقرب منهُ الى الحيف على صادقها

« الشبيبة سكرةٌ لا يُفاق منها بل هي حمّى العقل

« المتكبر وان تنازل عن زخرف الدنيا لا يهمل تكبرهُ بل يستعيض بفخر الزهد عما تركهُ من ابهة المجد

« ليس المصيب من عثر على الصواب اتفاقاً بل من عرفهُ وميزهُ واستحسنهُ

« ارفع درجات الدهآء ان نحسن التعامي عن الحبائل المنصوبة لنا والمرء اسهل ما يكون انخداعهُ اذا حاول ان يخدع غيرهُ

« تصميم المرء على تجنب الخداع كثيراً ما يجعلهُ عُرضةً للانخداع

« من ظنّ ان لهُ من نفسهِ ما يغنيهِ عن الناس فهو في ضلالٍ مبين واضلُّ منهُ من ظن ان لا غنى للناس عنهُ

« لعلك تجد في النسآء من لم تخادن قطّ ولكنك لا تكاد تجد فيهنَّ من اذا خادنت اقتصرت على خِدنٍ واحد

« البعد يُزهِق المحبة الضعيفة ويزيد العشق القويّ قوةً كالريح تطفئُ الشمعة وتضرم النار

« اثنان يعسر ارضاؤهما من اشتدّ عشقهُ ومن خمدت نار عشقهِ او كادت

« كثيراً ما يباهي الانسان باشدّ الاهوآء اثماً ما خلا الحسد فانهُ من المخزيات التي يحاول صاحبها ان يخفيها ولا يجسر على الاقرار بها ابداً

« تسرُّعك في وفآء ما نلتهُ من المعروف ضربٌ من انكار المعروف

« لَيس شكران النعمة في جُلّ الناس سوى طمعٍ خفيّ في نيل نعمٍ اعظم

« قلما نلقى كفوراً ما دمنا قادرين على اسدآء النعم

« ما اكثر الذين يستهينون بالمال وما اقلّ الذين يحسنون بذلهُ » انتهى

واما فصولهُ في الهيئة وما يليها فسننشر بعضها في الضيآء . وهي مع كونه لم يأتِ فيها بشيء جديد فانها لا تخلو من احيآء الفاظٍ من مُصطلحات العرب في هذا العلم مما ذهبت باكثرهِ الايام الا من بعض الاسفار الباقية الى هذا العهد في خزائن اوربا مما دل على وفرة اطلاعهِ وامعانهِ في البحث والتقييد

وبقي هنا امرٌ لا بدّ من التنبيه عليهِ وهو انهُ رحمهُ الله كان قد كتب الينا في الايام الاخيرة بنقدٍ مطوَّل على ترجمةٍ فرنسوية لكتاب مروج الذهب نُشرت من عهدٍ غير بعيد بقلم واحدٍ من اكابر علمآء الفرنسيس يقال لهُ المسيو بربياي دمينار (١) والنقد المذكور يقع في نحو ثمانين صفحةً من مثل صفحات الضيآء وسننشرهُ في هذه المجلة ان شآء الله تباعاً حرصاً على ما فيهِ من الفائدة وتخليداً لفضل مؤلفهِ رحمهُ الله رحمةً واسعة واجزل ثوابهُ في دار النعيم

---

(١) Barbier de Meynard